بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم .

عنوان الكتاب وعدد مجلداته والكتب التى ذكرته :

أما بعد ، ففى بداية عام ١٩٥٦م كنت أجمع مادة بحث الدكتوراه الذى كنت أعده في جامعة كمبردج بانجلترا ، وكان موضوعه : « موافقة العقل للنقل عند ابن تيمية » وراجعت الكتب التى ترجمت لشيخ الاسلام وتكلمت على حياته ومصنفاته ، فوجدت بعضها يشير الى كتاب «الصفدية» اشارات مختلفة .

فكتاب « العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية » للحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادى رحمه الله يذكر (١) : « وله في الرد على الفلاسفة مجلدات وقواعد أملاها مفردة ، غير ما تضمنته كتبه منها ... » الى أن يقول (٢) : « وكتاب يعرف بالصفدية في الرد على الفلاسفة

---

(١) ص ٣٦ ، بتحقيق محمد حامد الفقى ، ط . حجازى ، القاهرة ، ١٩٣٨/١٣٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

في قولهم ان معجزات الأنبياء عليهم السلام قوى نفسانية ، وفي ابطال قولهم بقدم العالم » .

ويذكر الصفدى في كتاب « الوافي بالوفيات » (١) : « جواب الرسالة الصفدية : جواب في نقض قول الفلاسفة ان معجزات الأنبياء قوى نفسانية ، مجلد كبير » .

ويذكر ابن رجب الحنبلى في كتابه « الذيل على طبقات الحنابلة » (٢) : « ... الصفدية : جواب من قال ان معجزات الأنبياء قوى نفسانية ، مجلد » .

ويقول ابن شاكر في كتابه «فوات الوفيات»(٣) : «.. جواب الرسالة الصفدية : جواب في قول بعض الفلاسفة ان معجزات الأنبياء عليهم السلام قوى نفسانية ، مجلد كبير » .

وهكذا نجد أن هذه الكتب قد أجمعت على تسمية الكتاب باسم « الصفدية » وذكر بعضها أنه يقع في مجلد وزاد بعضها فقال انه مجلد كبير .

وسترى عند وصف النسخة المخطوطة أنها تقع في ٢١٢ ورقة أى ٤٢٤ صفحة ، وهذا موافق لمن قال انه مجلد كبير .

أما عنوان الكتاب ، فهو كما قال الصفدى ، جواب رسالة أى أن سائلا سأله عن مسألة فأجابه ، وهذا ما نجده في أول الكتاب ، والسائل ـ كما هو ظاهر ـ من مدينة صفد ، وهى

---

(١) مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد جـ ١٦ ورقة ٢٤ .
(٢) جـ ٢ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .
(٣) جـ ١ ص ٧٠ .

مدينة ـ كما نعلم ـ بفلسطين (١) ، ولذلك عرفت الرسالة أو الكتاب بالصفدية نسبة الى المدينة التى ورد السؤال منها . ولابن تيمية قواعد ورسائل وفتاوى نسبت الى بلاد كثيرة وردت منها أسئلة اليه ، مثل : الحموية ، المراكشية، الواسطية ، البعلبكية .. الخ .

وقد ذكر ابن تيمية نفسه الكتاب في بعض كتبه ومنها كتابه « الرد على المنطقيين » فقد ذكره فيه في عدة مواضع منها قوله (٢) : « بل مايدعونه من المجردات والمفارقات غير النفس الناطقة كالعقول والنفوس انما وجودها في الأذهان لا في الأعيان ، كما بسط الكلام عليها في الصفدية وغيرها» .

ومنها قوله فيه أيضا (٣) : « ... بل والفلاسفة يجوزون خرق العادات ، لكن يذكرون أن لها أسبابا فلكية أو قوى نفسانية أو أسباب طبيعية ، فهذه الثلاثة هى أسباب خرق العادات عندهم . والى ذلك ينسبون معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء والسحر وغير ذلك . وقد بسطنا الكلام على ذلك في مسألة معجزات الأنبياء هل هى قوى نفسانية أم لا ، وبينا فساد قولهم هذا ، حتى عند جماهير أساطين الفلاسفة ، بالأدلة الصحيحة ، بما ليس هذا موضعه ، وهى المعروفة بمسألة

(١) قال أبو الفداء في كتابه تقويم البلدان (ط . باريس ، ١٨٤٠م) ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ان اسمها صفت والمشهور على ألسنة الناس أن مكان التاء المذكورة دال مهملة : وهى بلدة مشرفة على بحيرة طبرية من بلاد الأردن ، وقال ياقوت في معجم البلدان انها مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان .

(٢) الرد على المنطقيين ، ص ٢٧٨ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٠١ .

الصفدية (١) » .

ويقول ابن تيمية في موضع رابع في نفس الـكتاب (٢) : « ... وأصل هذا كله ما ادعوه من أن اثبات الصفات تركيب ممتنع ، وهذا أخذوه عن المعتزلة ، ليس هذا من كلام أرسطو وذويه . وقد تكلمنا في بيان فساده في مصنف مفرد في توحيد الفلاسفة وفي شرح الأصبهانية والصفدية وغير ذلك » .

وفي موضع خامس من « الرد على المنطقيين » يذكر شيخ الاسلام رأى الفلاسفة في الحكمة ويقول ان الفلاسفة جعلوا كمال النفس في العلم فقط وانهم ظنوا ذلك في العلم بالوجود المطلق حتى يصير الانسان عالما معقولا موازياً للعالم الموجود ومنهم من يقول : النفس انما تبقى ببقـاء معلومها ، وهم يعتقدون بقاء الأفلاك والعقول والنفوس ، فجعلوا كمالها في العلم بالموجودات التى اعتقـدوا بقاءها ، ومن تقرب الى ألاسلام منهم يقول : بل كمالها في العلم بواجب الوجود (٣) .

ثم يعقب ابن تيمية عـلى ذلك بقوله (٤) : « ... وقد بسطنا الـكلام على هذا في غير هذا الموضع في جواب المسألة الصفدية وغـير ذلك ، وبينا أنهم غلطوا من وجـوه منها ... الخ » .

ويشير ابن تيمية الى كتاب « الصفدية » من غير أن يصرح

---

(١) ذكر الاستاذ عبد الصمد شرف الدين في تعليقه على كتاب « الرد على المنطقيين » في هذا الموضع ما يلى : « كتب بهامش الأصل هنا : للمصنف المسالة الصفدية » .

(٢) الرد على المنطقيين ، ص ٣١٤ .

(٣) السابق ، ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ .

(٤) السابق ، ص ٤٦١ .

باسمه في كتابه « درء تعارض العقــــــل والنقل » ويحدد موضوعات عرض لها بالفعل في كتاب « الصفدية » . يقول ابن تيمية (١) : « ... ونفس المقدمة الهائلة التى جعلوها غاية مطلوبهم ، وهوأن كمال النفس في مجردالعلم بالمعقولات مقدمة باطلة قد بسطنا الـكلام عليها في الكلام على معجزات الأنبياء لما تـكلمنا على قولهم انها قوى نفسـانية ، وذكرنا قطعة من كلامهم على ذلك ، وبينا أن قولهم ان كمال النفس في مجرد العلم خطأ وضــلال ، ومن هنا جعــلوا الشرائع مقصودها اما اصلاح الدنيا واما تهــذيب النفس لتستعد للعلم أو لتكون الشريعة أمثالا لتفهيم المعـاد كما يقـوله الملاحـدة الباطنية مثل أبى يعقوب السجستانى وأمثـــاله ، ولهذا لا يوجبون العمل بالشرائع عــلى ومن وصــل الى حقيقة العلم ... الخ » .

مؤلف الـكتاب :

لعل فيما ذكرته آنفا من المواضــع التى جاء فيها ذكر الـكتاب مايؤكد أن كتاب « الصفدية » هو من تاليف شيخ الاسلام ابن تيمية ، وسنرى فيما بعــد عند وصف النسخة الخطية للـكتاب التصريح بنسبة الـكتاب لابن تيمية في عدة مواضع ، ولا شك أن مطالعــة الـكتاب تؤكد لـكل عارف باسلوب شيخ الاسلام وأفـكاره وآرائه وطريقته في التاليف أن هذا الـكتاب هو لابن تيمية بلا جدال .

على أن الذى قد يثير بعض الشبهات في نفوسنا هو ماجاء

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول عــلى هامش منهاج السنة (ط · بولاق) ٣/٢٠١ ·

في ظهر الورقة الأولى من المخطوطة من نسبة الكتاب الى ابن الصلاح ، وهذه مسألة واضح فيها التزييف والانتحال ، اذ يظهر حتى في المصورة آثار محو الاسم الأصلى ، كما يظهر اختلاف الخط الذى كتبت به كلمة «صلاح» عن الخط الأصلى.

على أن اسم ابن الصلاح يختلف عن الاسم المكتوب ، فابن الصلاح هو أبو عمرو تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردى الشهرزورى الشرخانى . أما شيخ الاسلام ابن تيمية فهو أبو العباس تقى الدين أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن تيمية ... وهذا هو الاسم المكتوب في النسخة الخطية فيما عدا كلمة « تيمية » التى محيت وكتب مكانها كلمة « صلاح » .

على أن مؤلف كتاب « الصفدية » ذكر اسم ابن الصلاح مرتين في كتابه وفي الجزء الأول من هذه الطبعة .. المرة الأولى في (ص ٢١٠) عندما ذكر من تكلموا في أبى حامد الغزالى فقال : « كما تكلم فيه أصحاب أبى المعالى ... » الى أن قال : « ... وأبو عمرو بن الصلاح » والمرة الثانية في (ص ٢٥٠) عندما تكلم مرة أخرى عن أبى حامد الغزالى وعن كتبه وعن العلماء الذين أنكروا عليه مواضع في « الاحياء » وفي غيره من كتبه فقال : « ... وأبو عمرو بن الصلاح .. » .

ولا يعقل أن يكون الكتاب من تأليف ابن الصلاح فيذكر نفسه بهذه الطريقة .

على أنه مما يقطع بصحة نسبة الكتاب الى ابن تيمية – زيادة على ما تقدم – أن مؤلف الكتاب يشير الى مؤلفات أخرى له هى من الكتب المشهورة والتى يعرف الناس كلهم أنها لابن تيمية ، وهذا ما سوف نورده بعد قليل .

أما سبب هذا التزييف فقد يكون الكيد من أعداء ابن تيمية الذين يريدون اخفاء فضله ، وقد يكون ـ وهذا هو الأرجح ـ اضطرار بعض أصحابه ممن كانت السلطة تطاردهم الى اخفائه ، فلجأوا الى تغيير اسم المؤلف . يقول ابن عبدالهادى ـ بعد ذكر أسباب تعذر احصاء كتب ابن تيمية : «... وماكفى هذا الا أنه لما حبس تفرّق أتباعه وتفرقت كتبه ، وخوّفوا أصحابه من أن يظهروا كتبه ، ذهب كل أحد بما عنده وأخفاه ولم يظهروا كتبه ، فبقي هذا يهرب بما عنده ، وهذا يبيعه أو يهبه ، وهذا يخفيه ويودعه ، حتى أن منهم من تسرق كتبه أو تجحد فلا يستطيع أن يطلبها ولا يقدر على تخليصها» (١). فمن المحتمل أن يكون أحد تلامذة ابن تيمية كان يملك هذه النسخة الخطية فلما طورد اضطر الى تغيير اسم المؤلف حتى يخفي نسخته عن أعين المطاردين .

تاريخ تاليف الكتاب :

ذكر ابن تيمية في كتاب « الصفدية » بعضا من كتبه فتكلم على كتابه « شرح أول المحصل » في موضعين : الأول في (ظ ١٥٠ = ظهر ورقة ١٥٠ من أوراق المخطوطة) ، فقال : « ... وأما تقدير قديم ممكن فهذا يوجد في كلام ابن سينا ومن سلك سبيله .. ولهذا ورد على هؤلاء في الامكان من الاشكالات مالم يمكنهم الجواب عنه ، كما قد بيناه في كلامنا على « المحصل » وغيره ... الخ » .

والموضع الثاني في (ظ ١٦١=ظهر ورقة ١٦١ من أوراق

---

(١) العقود الدرية ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

المخطوطة) حيث يعود فيذكر ابن سينا وأتباعه ويبين أنهم ظنوا أن القديم الأزلى الواجب الوجود قد يكون ممكنا يغيره يقبل العدم ، ثم يقول : « ... فجمعوا بين النقيضين ، وورد عليهم اشكالات لا جواب لهم عنها ، كما قد بسط في مواضع مثل الكلام على المحصل وغيره » .

ونحن نعلم أن لابن تيمية كتاب « شرح أول المحصل » (علق فيه على كتاب « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين » للرازى) وقد ذكره ابن عبدالهادى(١) وابن قيم الجوزية(٢) وغيرهما ، ويقع في مجلد ، وهو من كتب ابن تيمية المفقودة ولا نعلم تاريخ تأليفه .

ويذكر ابن تيمية في موضع ثالث من كتاب « الصفدية » (ص ١٥٨ بترقيم المخطوط) بعد كلامه على الدليل العقلى على وحدانية الله تعالى ما يلى : « وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر لما تكلمنا على طرق الناس في اثبات التوحيد ومعناه » .

ولابن تيمية ــ كما نعلم ــ : « قاعدة في الايمان والتوحيد وبيان ضلال من ضل في هذا الأصل » (٣) .

وهذه القاعدة بهذا العنوان لم تنشر بعد ــ فيما أعلم ــ وان كان فيما نشر من كتبه ورسائله ما يعرض لطرق الناس في اثبات التوحيد .

علىأن الذى يهمنا فيما ذكره ابن تيمية منكتبه كلامه على

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧ .
(٢) أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن القيم ، ص ١٩ .
(٣) العقود الدرية ، ص ٤١ ، أسماء مؤلفات ابن تيمية ، ص ٢٤ .

كتاب « العقل والنقل » فقـــــد ذكره في موضعين من كتاب « الصفدية » : الأول في ص ١١٢ (بترقيم المخطوط) حيث يتـكلم عن الفرق بين مقارنة الحوادث المعينه وبين مقارنة حادث بعد حادث الى غير نهاية ، ثم يقول : « ... ولكن تفطن للفرق كثير منهم فاحتجوا على امتناع حوادث لا أول لها بما نبهنا على بعضه . وقد استوفينا الحجج في هذا الباب في « درء تعارض العقل والنقـــــل » وذكرنا كل ما بلغنا أنه ذكر في هذا الباب » .

وأما الموضع الثاني فهو قريب من نهاية كتاب «الصفدية» في ص ٢٠٨ (من أرقام المخطوط) ويتكلم ابن تيمية فيه عن الفلاسفة غير المسلمين ثم عن الفلاســفة الذين بلغتهم دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : «.. بعضهم من المتظاهرين بالاسلام وبعضهم من اليهود وبعضهم من النصارى ، وكل من خالف ما جاءت به الرسل فهو ضـــــال من أى الطوائف كان ، فان الله بعثهم بالحق ، والمعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل ، لم يخالف العقل الصريح شيئاً مما جاءت به الرسل ، وقد بسط هــــــذا في الـكتاب المصنف في درء تعـــــارض العقل والنقل » .

وذكر ابن تيمية لـكتاب « درء تعارض العقل والنقل » في كتاب « الصفدية » يدلنا على أنه ألف كتاب « الصفدية » بعد تأليفه لـكتاب « درء تعارض العقل والنقل »

ولـكننا ذكرنا قبل قليـــل (١) أن ابن تيمية قد أشار الى كتاب « الصفدية » اشـــارة واضحة في كتاب « درء تعارض والنقل » (وان لم يصرح باسمه) .

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٥ .

وهذا يجعلنا نرجح أن ابن تيمية ألف الكتابين في فترة زمنية واحدة ، وقد نقلت في مقدمة « درء تعارض العقل والنقل(١) عن ابن عبد الهادى في كتاب «العقودالدرية» (٢) قوله : « ثم ان الشيخ رحمه الله بعد وصوله من مصر الى دمشق واستقراره بها ، لم يزل ملازما للاشتغال والأشغال ، ونشر العلم وتصنيف الكتب ، وافتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة وغيرها ، ونفع الخلق والاحسان اليهم والاجتهاد في الأحكام الشرعية » .

ورجحت بعد ذلك أن ابن تيمية ألف كتابه « درء تعارض العقل » في هذه الفترة الحافلة بالنشاط العلمى التى بدأت بعد وصوله الى دمشق في آخر سنة ٧١٢ . وحددت تاريخ تأليف كتاب « درء ... » بصورة أدق فذكرت انه كان بين سنتى ٧١٣ ــ ٧١٧ لأسباب أبديتها هناك (٣) .

وأرجح هنا أن كتاب « الصفدية » ألف في نفس الفترة وأن ابن تيمية شغل بتأليف الكتابين في وقت واحد وكان يكتب صفحات أوأجزاء من أحدهما ثم يتركه ليكتب جزءاً من الكتاب الثانى وهكذا الى أن أنهى الكتابين ، ولعل هذا هو الذى يفسر سبب اشارته في كل كتاب الى الكتاب الآخر .

وهناك احتمال آخر وهو أن يكون ابن تيمية قد ألف كتاب «درء تعارض العقل والنقل» أكثر من مرة ، أو بعبارة أخرى أعاد النظر فيه ونقّحه وهذّبه ، ويكون قد ألف كتاب

---

(١) ص ٨ ـ ٩ .

(٢) ص ٣٢١ .

(٣) انظر مقدمة درء تعارض العقل والنقل ، ص ٨ ـ ١٠ .

« الصفدية » بعد النسخة الأولى من « درء تعارض .. » وأشار حينئذ فيه الى « درء تعارض .. » ثم لما كتب النسخة الثانية من كتاب « درء تعارض .. » (وهى التى طبع عنها النص الذى نقلناه من الكتاب) (١) ، أشار فيها الى كتاب « الصفدية » .

وعلى أى الحالات فان كتابة كتاب « درء تعارض .. » مرتين أو أكثر لابد أن يكون قد تم على الأرجح في الفترة التى سبق أن ذكرتها وهى بين عامى ٧١٣ ــ ٧١٧ ، للأسباب التى أبديتها في مقدمة « درء تعارض .. » ، والله أعلم بالصواب .

ونفس الذى قلناه عن كتاب «درء تعارض العقل والنقل» يمكننا أن نقوله عن كتاب « الرد على المنطقيين » ، وقد أشرنا من قبل الى المواضع التى ذكر فيها ابن تيمية كتاب « الصفدية » في كتاب « الرد على المنطقيين » .

ونذكر هنا بعض المواضع التى أشار فيها في كتاب «الصفدية» الى رده على المنطق . منها قوله في (ظ ١٤٧ بأرقام المخطوط) : « وما كان لازماً لمدلول اللفظ كان خارجا عن المدلول لازما له وهو خارج عن تلك الماهية القائمة في نفسه لازم لها ، وهذا الموضع قد بسط في الكلام على المنطق بسطا ليس هذا موضعه » .

ومنها قوله في (ص ١٩٨ بأرقام المخطوط) : « ... وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضع على كلامهم في الحد والبرهان

---

(١) وهوكما سبق ان ذكرنا في ج ٣ص ٢٠١من موافقة صريح المعقول على هامش منهاج السنة (ط ٠ بولاق) ٠

وبينا ماعليه نظار المسلمين في الحد ، وأن المقصود به التمييز للمحدود من غيره ، فمقصوده تفصيل مادل عليه الاسم بالاجمال ... » .

على أن ماذكر في هذين الموضعين وأمثالهما يمكن تفسيره بأن ابن تيمية يشير الى مؤلفات أخرى له رد فيها على المنطق ليس منها كتابه الكبير « الرد على المنطقيين » الا أن ماذكره في (ظ ١٩٣ بأرقام المخطوط) يرجح ترجيحاً قويا أن ابن تيمية كان قد ألف كتاب « الرد على المنطقيين » قبل ذلك ـ أو على الأقل كان قد شرع في تأليفه ـ يقول ابن تيمية في هذا النص الأخير (الذى يبدأ في آخر ص١٩٣) : «.. وألا يذكر الصفات الذاتية المشتركة وهى الجنس،والمميزة وهى الفصل، وبهما يتم النوع المركب ، كما يتم الانسان بالحيوان والناطق، فهذا من الخطأ الذى أنكره عليهم نظار المسلمين ، كما قد كتبنا بعض كلام النظار في ذلك في غير هذا الموضع في الكلام على المحصل وعلى منطق الاشارات وعلى المنطق اليونانى : مصنف كبير ومصنف مختصر » . والعبارة الأخيرة : « مصنف كبير ومصنف مختصر » كتبت في الهامش بخط يشبه خط ابن تيمية .

وهذا يرجح عندى نفس ماسبق أن ذكرته عن كتاب «درء تعارض العقل والنقل » وهو أن ابن تيمية ألف كتاب « الصفدية » وكتاب « الرد على المنطقيين » في فترة نشاطه في التأليف بعد عودته من مصر واستقراره بدمشق وأن تأليفه للكتابين كان في نفس الفترة وفي وقت واحد ، ولعله كان يكتب فصولا من أحد الكتابين ـ بل من الكتب

الثلاثة ـ ثم يتركه ويكتب فصولا من الـكتاب الثانى ، ثم يعود الى الـكتاب الأول فيكتب فصولا أخرى وهكذا .

موضـــــوع الـكتاب

حدد ابن عبد الهادى موضـوع الـكتاب ـ كما سبق أن نقلنا عنه ـ فقال : « وكتاب يعرف بالصفدية في الرد عـــلى الفلاسفة في قولهم ان معجزات الأنبياء عليهم السـلام قوى نفسانية وفي ابطال قولهم بقدم العالم » .

والواقع ان الـكلام على قدم العـالم (ونفى الصفات) والرد على الفلاسفة في ذلك ثم على كلامهم في المعجزات انما يشغل ثلث الـكتاب فقط اذ ينتهي في ظهر صفحة ٧٢ بترقيم المخطوط = (ص٢٣٦ بأرقام طبعتنا هذه) حيث يقول : «وهذا قدر ما احتملته هذه الأوراق في جـواب هذه المسألة . فانها مسألة عظيمة تبنى عليها أصول العلم والايمان أجبنا فيها بحسب ما احتمله الحال ، وفيها من البسط والقواعد الشريفة مايعرفه من عرف كلام الناس في هذا الباب » ثم يستطرد ابن تيمية في موضوعات مختلفة يرد فيها على آراء الفلاســـفة ومذاهبهم ويبدأ هذا من ظهر ورقة ٧٢ الى نهاية الـكتاب في ص ٢١٢ (بترقيم المخطوط) .

وعلى هذا فالـكتاب ينقسـم الى قسمين رئيسيين الأول :
الرد على سؤال السائل أو جواب الرسالة الصفدية وهو يقع في ثلث الـكتاب الأول .

والثانى : استطرادات مختلفة في الـكلام على الفلاسـفة والرد على ارائهم ومذاهبهم ويقع في ثلثى الكتاب الأخيرين .

أما القسم الأول فينقسم بدوره الى فرعين : فرع يرد فيه ابن تيمية على قول الفلاسفة بقدم العالم ونفى الصفات ، ويستغرق الصفحات من ظ ٢ (= ص ٨ من المطبوع) الى ص ٣٩ (= ص ١٣٤ من المطبوع) .

وفرع آخر يناقش ابن تيمية فيه الموضوع الأساسى وهو كلام الفلاسفة في النبوات ويبدأ من ص ٣٩ (=ص١٣٤ من المطبوع) وينتهى في ظ ٧٢ (= ٢٣٦ من المطبوع) .

المقدمة : على أن الكتاب يبدأ بالسؤال وهو موجه من السائل الى ابن تيمية يسأله فيه : « عن رجل مسلم يقول : « ان معجزات الأنبياء قوى نفسانية أفتونا مأجورين » .

ويبدأ ابن تيمية رده بعد حمد الله تعالى بقوله ان هذا الكلام : « باطل ، بل هو كفر يستتاب قائله ويبين له الحق ، فان أصر على اعتقاده بعد قيام الحجة الشرعية عليه كفر ، واذا أصر على اظهاره بعد الاستتابة قُتل » (١) .

ويبين ابن تيمية بعد ذلك أصناف القائلين به وهم طائفة من المتفلسفة والقرامطة الباطنية والاسماعيلية ونحوهم كابن سينا واخوان الصفا والعبيديين الذين كانوا بمصر من الحاكمية وأشباههم (٢) .

وبعد أن يلخص ابن تيمية آراءهم (٣) يذكر خصائص النبوة عندهم وهى ثلاث خصائص : الأولى : أن تكون له قوة

---

(١) أنظر كتاب الصفدية ، ص ١ .
(٢) أنظر ص ١ ـ ٢ من هذا الكتاب .
(٣) السابق ، ص ٣ ـ ٥ .

قدسية ، وهى قوة الحدس ، بحيث يحصل له من العلم بسهولة مالا يحصل لغيره الا بكلفة شديدة ، وبعبارة أخرى هى قوة عقلية علمية تجعله أذكى من غيره وتجعل العلم عليه أيسر منه على غيره .

والخاصة الثانية : قوة التخييل والحس الباطن بحيث يتمثل له مايعلمه في نفسه فيراه ويسمعه فيرى في نفسه صورا نورانية هى عندهم ملائكة الله ، ويسمع في نفسه أصواتا هى عندهم كلام الله ، وهذا من جنس الأحلام التى يراها النائم في منامه ، ومن جنس ما يحصل لبعض أهل الرياضات من العارفين والصوفية ، ومن جنس مايحصل لبعض المصابين بالصرع وبالأمراض العقلية ، وهذه القوة هى التى يسميها الفلاسفة قوة المخيلة .

والخاصة الثالثة : أن تكون له قوة نفسانية تمكنه من التصرف في مادة العالم (أو هيولى العالم وهى المادة الأولى للعالم على حد تعبير الفلاسفة) وهذا كما يستطيع الحاسد أن يؤثر بنظرته الحاسدة في بدن المحسود فيصيبه بالضرر أو المرض ، والفلاسفة يزعمون أن خوارق العادات التى للأنبياء من هذا النمط ، وهذه القوة يسميها الفلاسفة أحيانا القوة الهيولانية (١) .

ويلخص ابن تيمية بعد ذلك أقوال الفلاسفة في ارادة الله وعلمه وينقد ذلك بايجاز ثم يذكر كلامهم في علاقة العالم بالله سبحانه وكيف يجعلون العقول والنفوس (السماوية وهى

---

(١) انظر الكتاب ، ص ٦ ــ ٧ .

عقول ونفوس الـكواكب والأفلاك) معلولة متولدة عن الله لم يخلقها بمشيئته وقدرته (١) .

الفرع الأول : ثم ينتقل ابن تيمية الى الفرع الأول من القسم الأول من الكتاب وهو الفرع الذى يعرض فيه لمناقشة كلام الفلاسفة في قدم العالم ويبدأ ذلك بقوله (٢) : « فلما كان أصل قولهم : ان صانع العالم لايمكنه تغيير العالم ولا له قدرة ولا اختيار في تصريفه من حال الى حال جعلوا يريدون أن ينسبوا جميع الحوادث الى أمــــور طبيعية ليطرد قولهم ويسلم عن التناقض» . ثم يقول(٣) : «فاذا كان أصل قولهم: ان الصانع هو موجب بالذات ، وهو علة تامة آزلية مستلزمة لمعلولها ، لم يتأخر عنها شيء من معلولها ، فان العلة التامة هى التى تستلزم معلولها ، والموجب بالذات هو الذى تــكون ذاته مستلزمة لموجبه ومقتضاه ، فلا يجوز أن يتأخر عنه شيء من موجبه ومعلوله ، ولهذا قالوا بقدم العالم . وهذا أعظم حججهم على قدم العالم » .

ويقول الفلاسفة بوجود الحــوادث دائما بلا ابتداء لأننا اذا قلنا ان الحادث لابد له من سبب حـــادث ، وذلك السبب لابد له من سبب حادث ، فان هذا اذا أريد به الحادث المعين لزم التسلسل الممتنع (في تمام الفاعلية) ، وان أريد به نوع الحوادث لزم الدور الممتنع (٤) .

(١) كتاب الصفدية ، ص ٦ ـ ٩ .
(٢) السابق ، ص ٩ .
(٣) السابق ، ص ١٠ .
(٤) أنظر السابق ، ص ١٠ ـ ١٣ .

على أن قول الفلاسفة يلزم عنه أن يكون كل حادث انما صارت علته تامة عند حدوثه . وهذا القول باطل من وجوه : أحدها : أنه اذا لم يكن لشيء من الحوادث علة تامة أزليــة ، بل انما صارت له علة تامة عند حدوثه بطل قولهم . فانه اذا لم يكن لشيء من الحوادث علة تامة أزلية لم يكن شيء من الحوادث صادرا عن الموجب بالذات الذى هو علة تامة أزلية . وبعبارة أخرى يقال : إن اثبات قدم شيء من العالم يستلزم اثبات علة قديمة له ، واثبات العلة القديمة توجب كون الحوادث لا فاعل لها لامتناع صدور الحوادث عن العلة التامة الأزلية ، وعلــى ذلك فليس من العالم شيء قديم (١) .

الوجه الثاني : أن قول الفلاســـفة يستلزم وجود علل ومعلولات لاتتناهى ، وهو قـــــول فاسد لأنه اذا قدر علل لاتتناهى وهى معلولات كان ذلك بمنزلة تقدير أمور معدومة لاتتناهى ، فلا يكون فيها ما هو موجود ، والمعدوم يمتنع أن يكون مبدعاً أو فاعلاً للموجود (٢) .

عــلى أن من الناس من ظن أن الـكلام في تناهى المؤثرات بمنزله الكلام في تناهى الآثار ، ولذلك قالوا : اذا كان تناهى الآثار لايقوم دليل على فساده فـكذلك تتناهى العلل . وقد أدى ذلك بكثير من النظار الى أقوال فاسدة متناقضة حتى ان الرازى يقرر في كتاب « الأربعين في أصــول الدين » ونحوه

---

(١) انظر السابق ، ص ٢٠ ـ ٢٢ .
(٢) أنظر السابق ، ص ٢٢ .

طرقا في ابطال حـــوادث لاتتناهى ، ثم يبطلها في مثل كتاب « المباحث الشرقية » وأمثاله (١) .

وقد نقل ابن تيمية بعض كلام الرازى في «الأربعين»(٢) ثم نقل كلام الأرموى في «لباب الأربعين» معترضا على ماذكره الرازى (٣) ثم عقب على ذلك مناقشاً قول كل من الرجلين ، ومستطرداً في مباحث مختلفة تتشعب عن آرائهما (٤) .

ويقرر ابن تيمية أن القول بحوادث لا أول لها ليس ممتنعا عند أئمة أهل الملل كالسلف والأئمة الذين يقولون ان الله لم يزل متــكلما اذا شاء ، ويقولون ان الفعل من لوازم الحياة فان كل حى فعّال (٥) .

ويقود موضوع قدم العــالم ابن تيمية الى مباحث عديدة والى ردود مختلفة على ابن الهيثم وابن سينا والسهروردى(٦) وعلى الرازى وأرسطو (٧) ، بل انه يدعوه الى الاستطراد في مسألة صفات الله تعالى ، فهو يذكر مقالة القرامطة الباطنية والمتفلسفة في نفى الصفات ثم يرد عليهم من سبعة وجوه(٨)، ثم يذكر مقالة اللاأدرية السوفسطائيــة وقول طوائف من

---

(١) السابق ، ص ٢٣ ــ ٢٤ .
(٢) السابق ، ص ٢٩ ــ ٣٢ .
(٣) السابق ، ص ٣٢ ــ ٣٣ .
(٤) أنظر السابق ، ص ٣٣ ــ ٥٢ .
(٥) السابق ، ص ٥٢ .
(٦) السابق ، ص ٥٤ ــ ٥٩ .
(٧) أنظر السابق ، ص ٦٠ ــ ٨٨ .
(٨) أنظر السابق ، ص ٨٨ ــ ٩٦ .

أئمة الجهمية الذين انتهوا الى الشك والحيرة لتكافؤ الأدلة عندهم ويرد عليهم (١) .

ويقرر ابن تيمية أن ملاحدة الفلاسفة قد بالغت في نفى الصفات بنفى مسمى التركيب فقالوا ان التركيب خمسة أنواع . وبعد أن يلخص ابن تيمية هذه الأنواع ، يرد على الفلاسفة موضحا رأي أهل السنة والجماعة (٢) .

وأخيرا يعود ابن تيمية فيلخص رده على حجة الفلاسفة على قدم العالم من سبعة وجوه (٣) .

وينتقل شيخ الاسلام بعد ذلك الى الموضوع الأصلى فيقول : « وهذه الأمور قد بسطناها في غير هذا الموضع ، وانما نبهنا عليها هنا لأنها أصل قول هؤلاء الذين ينكرون انفطار السموات وانشقاقها ، ويقولون : ان النبوة هى من نوع قوى النفوس ، وان المعجزات هى قوى نفسانية ، حتى يجعلونها هى سبب ما أحدثه الله من آيات الأنبياء ، وان كانوا مع هذا يعظّمون الأنبياء ويوجبون طاعة نواميسهم ، ويأمرون بقتل من يخرق النواميس ... فيؤمنون ببعض الصفات التى اتصف بها الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وببعض ما آتاهم الله من الفضائل ويكفرون ببعض (٤) .

الفرع الثاني : وهنا يعود ابن تيمية الى الكلام على معجزات الأنبياء ويرد ردا اجماليا على أقوال الفلاسفة فى ذلك ويقرر

(١) أنظر السابق ، ص ٩٦ ـ ١٠٤ .
(٢) أنظر السابق ، ص ١٠٤ ـ ١٣١ .
(٣) أنظر السابق ، ص ١٣١ ـ ١٣٤ .
(٤) أنظر السابق ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

أن ما يثبتونه للأنبياء قد يحصل للرجل الصالح العالم وأن ما وصفوا به الأنبياء من خصائصهم حق ولكن دعواهم أن هذا هومنتهى خصائصهم باطل ، ويوافق ابن تيمية الفلاسفة على أن الله يجعل في النفوس قوى يحصل بها تأثير في الوجود ، ولكن الفلاسفة يريدون بذلك أن يقيدوا التأثير بجريانه على القانون الطبيعي المعتاد ، ومعلوم أن معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية ، وهو يضرب الأمثلة لبيان ذلك (١) .

ويشير ابن تيمية اشارة موجزة الى أن كلام الفلاسفة انما يرجع الى ما قاله ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » حيث ذكر أن خوارق العادات في العالم ثلاثة أنواع ، والفلاسفة لاتفرق بين النبي والساحر الا في أن نفس النبي زكية تأمر بالخير ، ونفس الساحر خبيثة تأمر بالشر (٢) .

وينتقل ابن تيمية الى مناقشة مسألة انكار بعض المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم وجود قوى وطبائع في الأنفس والأجسام وهم ينكرون بسبب ذلك الأسباب والحكم ، والمعتزلة يخالفونهم في ذلك ، والفلاسفة استطالوا على الأشاعرة بسبب ذلك وقد اشتد نكير ابن رشد على الغزالى وانتهز الفرصة في الرد عليه والانتصار للفلاسفة (٣) .

ويستطرد ابن تيمية في هذه النقطة وفي موضوعات تتصل

---

(١) انظر كتاب الصفدية ، ص ١٣٥ ـ ١٤٢ .
(٢) السابق ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(٣) انظر السابق ، ص ١٤٣ ـ ١٤٩ .

بها (١) ثم يعقد فصلا يجعل على رأسه عنوان (فصل) ويقول في أوله ما يلى :

« اذا تبين هذا فيقال الكلام على هؤلاء من وجوه» (٢) ثم يرد على الفلاسفة في قولهم ان معجزات الأنبياء قوى نفسانية من عشرة وجوه . وهو هنا يعود فيفصل ما أجمله من قبل وينقل كلام ابن سينا في كتابه «الاشارات والتنبيهات» بنصه حيث يتكلم عن مبادىء ثلاثة في عـــالم الطبيعة تنبعث منها الأمور الغريبة : أحدها : الهيئة النفسية ، وثانيها : خواص الأجسام العنصرية مثل جذب المغناطيس للحديد ، وثالثها : قوة سماوية لها علاقة بأجسام أرضية مخصوصة ، أو بنفوس أرضية مخصوصة مما يستتبع حدوث آثار غريبة . ويقول ابن سينا : والسحر من قبيل القســـم الأول ، والمعجزات والكرامات والنيرنجيات من قبيل القسم الثانى ، والطلسمات من قبيل القسم الثالث (٣) .

ويناقش ابن تيمية أقوال ابن‌سينا مناقشة مسهبة ويسوق الأدلة المفصلة على‌أن الجن ليست قوى نفسانية (٤) وعلى أن الملائـــكة موجودة حقا وأمرهم أعظم من أمر الجن (٥) .

ويشير ابن تيمية الى أن ابن سينا قد حدد أسباب الخوارق في أربعة أمور ويلخص بعض كلامه في كتابه « الاشارات »

---

(١) السابق ، ص ١٤٩ ـ ١٦٣ .
(٢) السابق ، ص ١٦٣ .
(٣) السابق ، ص ١٦٥ .
(٤) السابق ، ص ١٦٨ ـ ١٧٤ .
(٥) السابق ، ص ١٧٤ ـ ١٧٦ .

وينقل بعضه بنصه (١) ثم يعلق عليه تعليقا مجملا يذكر فيه أن ماقاله الفلاسفة لايفيد الجزم بما قالوه وانما غايته امكان ذلك ، ومعلوم أن ماذكروه لايدل على امكان حدوث المعجزات فهى من نوع آخر ، وكلامهم عن قـوى النفوس يمكن رده ـ أورد بعضه ـ الى فعل الجن ، والأطباء ليس عندهم دليل على نفى الجن ولا في صناعتهم ما يمنع وجود الجن ، وعدم العلم ليس علما بالعدم ، وعـدم الدليل ليس علما بعدم المدلول عليه ، وهم ينفون بلا علم ، والنافي عليه الدليل كما على المثبت الدليل (٢) .

وهذه الحجة هى أول الوجوه العشرة في رد ابن تيمية على الفلاسفة وقد اتبعها بتسعة وجوه أسهب فيها في الكلام على معجزات الأنبياء وبين اختلافها عن الخـوارق التى يذكرها الفلاسفة ، فطوفان نوح عليه السلام ، وقلع قرى لوط عليه السلام ، واهلاك أصحاب الفيل ، واحياء الموتى من الآدميين والبهائم ، كل ذلك وغيره أمور لا يمكن اضـافتها الى قوى النفس (٣) .

ويعـود ابن تيمية الى الكلام عن الجن والملائكة كلاما مفصلا لبيان أفعالهم واثبات أنهـا مخالفة لفعل النفوس الآدمية (٤) ويتعرض أثناء ذلك لابطال قول الفلاسـفة ان جبريل عليه السلام هو العقل الفعّال (٥) .

(١) أنظر كتاب الصفدية ، ص ١٧٦ ـ ١٧٩ .
(٢) السابق ، ص ١٧٩ ـ ١٨١ .
(٣) أنظر السابق ، ص ١٨١ ـ ١٨٧ .
(٤) السابق ، ص ١٨٧ ـ ٢١٩ .
(٥) السابق ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

ويقرر ابن تيمية في الوجه التاسع من وجوه رده على الفلاسفة أن تأثير النفوس مشروط بشعورها ، ولكن من معجزات الأنبياء ما لا يكون النبى شاعرا به ومنها ما لا يكون مريداً له ، بل ومنها مايكون قبل وجوده أو بعد موته ، ويضرب على ذلك العديد من الأمثلة (١) .

ويعود ابن تيمية في الوجه العاشر من وجوه الرد فيفصل ما أجمله من الكلام على رأى أهل السنة في اثبات قوى في نفوس الأنبياء يمتازون بها على غيرهم ويبين أن أهل السنة يخالفون في رأيهم هذا الأشاعرة الذين يقولون ان النبوة هى مجرد تعلق خطاب الله بالنبى (٢) .

وينتهى هذا الفرع الثانى من القسم الأول من كتاب الصفدية بأمور ينبه اليها ابن تيمية قائلا انه يجب ملاحظتها في أمر النبوة لعل من أهمها ماذكره في الوجه الثالث وهو قوله ان النبوة لاتنال باكتساب الانسان كما تنال بذلك العلوم المكتسبة ، وقد ضل بعض الصوفية في هذا الأمر وكفر بعضهم ممن قالوا ان الخطاب الذى حصل لهم أفضل من الخطاب الذى حصل لبعض الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم (٣) .

وقد عرضت في كتابى «مقارنة بين الغزالى وابن تيمية»(٤) نظرية النبوة عند ابن تيمية ونقده للفلاسفة في قولهم بالقوى

---

(١) السابق ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٥ .
(٢) السابق ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨ .
(٣) أنظر السابق ، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٦ .
(٤) ط . دار القلم والدار السلفية ، الكويت ، ١٣٩٥/١٩٧٥م .

الثلاث ونقده لنظرية العقول العشرة والصدور عندهم (١) وبينت نتائج آراء الفلاسفة في النبوات وكيف أدت الى تفضيلهم الفيلسوف والولى على النبى والى قولهم بكذب الأنبياء ، ثم الى قولهم باكتساب النبوة (٢) .

وقد وضحت قبل ذلك في نفس كتابى هذا نظرية النبوة عند الغزالى وبينت مدى أخذه عن الفلاسفة بعامة وعن ابن سينا بخاصة كما بينت مدى تأثيره على من جاء بعده من متفلسفة الصوفية مثل ابن قسى وابن عربى وغيرهما (٣) .

وكل ذلك يغنى عن الرجوع الى هذه المباحث هنا ، وقد قصدت بهذه المقدمة تلخيص أقواله وعرضها عرضا عاما ، في حين أن مكان دراسة آراء ابن تيمية انما هو قسم الدراسات وهو القسم الثالث من مكتبة ابن تيمية .

أما القسم الثاني من كتاب « الصفدية » فيبدأ من ظ ٧٢ = ص ٢٣٦ بأرقام طبعة هذا الكتاب الى نهاية الكتاب في ص ٢١٢ (بأرقام المخطوط) . وهذا القسم يتناول الكلام على الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا واخوان الصفا وغيرهم ، وعلى فلاسفة الصوفية أمثال ابن عربى وابن سبعين وغيرهما ، وهو يناقش نظرياتهم ومذاهبهم المختلفة ، ويسوق البحث ابن تيمية أحيانا الى الكلام عن الفلاسفة اليونانيين وخاصة أرسطو فيناقش نظرياته وآراءه .

---

(١) السابق ، ص ٧٥ ـ ٩٤ .
(٢) السابق ، ص ٩٥ ـ ١٣٥ .
(٣) السابق ، ص ٤٩ ـ ٧٩ .

ويبدأ هذا القسم ص ٢٣٦ بقـــول ابن تيمية ان هؤلاء الفلاسفة يكثرون فيالدولالجاهلية كدولة القرامطة الباطنية العبيدية ودولة التتر ، وقولهم بقـــدم العالم يجعلهم أكثر ضلالا مناليهود والنصارى وأكثر المشركين ، بلان الفلاسفة قبل أرسطو قالوا بحدوث العالم ، وانما قال بقدمه أرســطو وأتباعه ، ثم جاء ابن ســــينا وأمثاله يأخذون عنه وعن الفلاسفة ويخلطون الفلسفة بكلام كثير من متــكلمى أهل الملل ، وأدتهم طريقتهم في التلفيق بين الفلسفة والدين الى القول بأن ماجاء به الأنبياء من الكلام على اليوم الآخر انما هو تخييل وتمثيل وأمثال مضروبة لتقريب الأمر الى العامة وان كان ذلك مخالفا للحق في نفس الأمـــر ، وقد يجعلون خاصة النبوة هى التخييل ، ويزعمون أن العقل دل على صحة قولهم .

ويتناول ابن تيمية بعد ذلك الـكلام عـــلى استشهاد الفلاسفة بالحديث الموضوع «أول ماخلق الله العقل ... الخ» ويبين بطلان استشهادهم به من وجوه عديدة (١) . ثم ينتقل الى الـكلام عــلى اعتراف أكثر الأمم ـ وحتى الأمم الوثنية المشركة ـ بوجود الملائـكة والجن (٢) . ويتـكلم ابن تيمية بعد ذلك عن الصوفية القائلين بوحدة الوجود كابن عربى وابن سبعين ، ويذكر أنهم قد ألحدوا فيأصول الايمان الثلاثة الله ورسوله واليوم الآخر (٣) ويرد رداً مفصــلا على قولهم

---

(١) الصفدية ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠ .
(٢) السابق ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .
(٣) السابق ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٧ .

بتفضيل خاتم الأولياء على خاتم الرسل (١) ويؤكد شيخ الاسلام بعد ذلك أن أصل قول هؤلاء الصوفية المتفلسفين هو قول الباطنية والقرامطة وأمثالهم (٢) .

ويبين ابن تيمية بعد ذلك ان الناس عندما يبحثون مسألة علاقة العالم بالله سبحانه ينقسمون الى أربعة أقوال : الأول قول جمهور الأمة ، والثانى قول أكثر متكلمى الجهمية ، والثالث قول أصحاب الوحدة والحلول والاتحاد ، والرابع قول من يجمعون بين الحلول والمباينة (٣) ، ويخصص ابن تيمية بعد ذلك صفحات للكلام على الحاد ابن عربى وعلى مصادر فلسفته وآرائه (٤) .

ويتناول ابن تيمية فكرة وحدة الأديان عند الصوفية القائلين بوحدة الوجود ويبين أنهم لا يفرقون بين المسلم واليهودى والنصرانى وأن التاريخ يثبت أنهم دائما يتصلون بالكفار ويعاونونهم ضد المسلمين (٥) .

ويبين ابن تيمية فكرأصحاب الوحدة الباطنى، ويذكر أنهم يعدون ظاهر الشريعة للعامة فقط وأما الحقيقة الباطنية فهى للخواص من اتباعهم ، ويذكر كلام ابن سبعين في هذا الصدد (٦) .

---

(١) السابق ، ص ٢٤٧ ـ ٢٦٢ .
(٢) السابق ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .
(٣) السابق ، ص ٢٣٦ ـ ٢٦٥ .
(٤) السابق ، ٢٦٥ ـ ٢٦٨ .
(٥) السابق ، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢ .
(٦) السابق ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ .

وتأثر هؤلاء الصوفية أصحاب الوحدة بكلام أبى المعالى الجوينى صاحب كتاب « الارشاد » جعل ابن تيمية يناقش طريقة المتكلمين في اثبات الصانع ويبين نقد الفلاسفة وأهل السنة لها (١) .

ويستمر ابن تيمية في نقد آراء أهل الوحدة وابطالها وبيان فسادها من وجوه متعددة (٢) ثم يعود الى الكلام على ابن عربى وابن سبعين ويبين الفرق بينهما ، ثم يتكلم على ابن هود من فلاسفة وحدة الوجود أيضا (٣) .

ويبين ابن تيمية أن أصل كل ضلال هو تأويل النصوص الشرعية تأويلا متعسفا ويقوده هذا الى الكلام على لفظ التأويل وبيان حقيقة التأويل الصحيح والفرق بينه وبين التأويل الفاسد (٤) .

ويتعرض ابن تيمية الى أبحاثمنطقية يناقش فيها تقسيم الفلاسفة الكلى الى ثلاثة أقسام : طبيعى ومنطق وعقلى ويربط هذا بالرد على آراء الفلاسفة في صفات الله سبحانه ، وهو مع ذلك يرد على أهل الاحاطة والباطنية أمثال أبى يعقوب السجستاني (٥) الذي ينقل سطوراً من كتابه « الافتخار » تم يرد عليها من خمسة وجوه (٦) .

ويعود ابن تيمية بعد ذلك إلى مناقشة طريقة ابن سينا في

---

(١) كتاب الصفدية ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨ .
(٢) السابق ، ص ٢٧٨ ـ ٢٨٣ .
(٣) انظر السابق ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٨ .
(٤) السابق ، ص ٢٨٨ ـ ٢٩٦ .
(٥) السابق ، ص ٢٩٧ ـ ٣٠٧ .
(٦) السابق ، ظ ٩٨ ـ ظ ١٠٣ (من المخطوط) .

اثبات واجب الوجود (١) ويناقش مع ذلك آراء الفلاسفة في صفات الله ويسهب في الرد عليهم لانكارهم الحوادث التى لا أول لها (٢).

وينتقل ابن تيمية الى الكلام على رأى الفلاسفة في كلام الله سبحانه لاتصاله بالموضوع السابق (٣) ثم يرد على قول الفلاسفة بفناء العالم وعلى كلامهم في بدء خلق العالم. ويناقش أثناء ذلك المسألة التى تنازع فيها السلف : هل خلق العرش أولا أم القلم (٤).

ويشغل موضوع قدم العالم صفحات كثيرة من الكتاب بعد ذلك ، اذ يعود ابن تيمية الى مناقشة فكرة الفلاسفة مناقشة مفصلة ، ويتناول بالبحث في أثناء ذلك مسائل عديدة ولكنه يربطها بالموضوع الرئيسى وهو الرد على قول الفلاسفة بقدم العالم ، وهو في أثناء ذلك يذكر نصوصا كاملة من كلام ابن سينا ــ وخاصة من كتاب « النجاة » ــ ويناقشها ويرد عليها (٥).

وهو ينهى كلامه في هذه النقطة بقوله : « والمقصود هنا التنبيه على أن هؤلاء القائلين بأن العالم معلول لعلة مبدعة ، وأن معجزات الأنبياء قوى نفسانية هم شر من أكثر المشركين

---

(١) السابق ، ص ١٠٤ ــ ١٠٨ (من المخطوط) .
(٢) السابق ، ١٠٨ ــ ص ١١٧ .
(٣) السابق ، ص ١١٧ ــ ص ١٢٣ .
(٤) السابق ، ظ ١٢٣ ــ ظ ١٢٧ .
(٥) السابق ظ ١٢٨ ــ ص ١٧٦ (من المخطوط) .

وعباد الأصنام (١) .

وينتقل بعد ذلك مباشرة الى نقطة جديدة في غاية الأهمية فيقول : « ومما يبين ذلك أن هؤلاء لايقـولون ان العبادات التى شرعتها الرسل انما غايتها اصلاح خلق الانسان ، فان حكمتهم كحكمة سائر الناس نوعـان : علمية وعملية ، والعملية هى اصلاح سياسـة الخلق والمنزل والمدينة ، ويزعمون أن الشرائع مقصودها هوهذا وهوالسياسة المدنية والمنزلية والخلقية » (٢) .

ويبدأ ابن تيمية بمناقشـة ما زعمه الفلاسفة أثناء محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين ـ وهو قولهم ان الدين اهتم بالحكمة العملية ، بل ـ كما يقـول ابن سينا ـ فاق الفلسفة فيها ، أما الحكمة النظرية فان الفلسفة تتفوق على الدين فيها لأن أدلة الفلسفة برهانيـة أما أدلة الدين فهى خطابية توافق العامة ولا توافق الخاصة أهل البرهان والنظر.

ويناقش ابن تيمية أثناء ذلك رأى الفلاسفة في الفضائل الأربعة (٣) وينقل نصوصا من كلام أبى البركات هبة الله ابن ملكا في كتابه « المعتبر في الحكمة » يتحدث فيها عن حال النفس بعد مفارقة البدن وكيف تصير عقلا ليس فيها طلب وارادة ومحبة لعمل أصلا (وهـذا هو الـكمال عندهم) ويعقب ابن تيمية على ذلك مناقشاً ومفنداً لآراء الفلاسفة ،

---

(١) السابق ، ظ ١٧٥ ـ ص ١٧٦ .
(٢) السابق ، ص ١٧٦ .
(٣) السابق ، ص ١٨٢ ـ ظ ١٨٢ .

ومبينا وجهة نظره في مذهبهم في السعادة واللذة وغير ذلك من الموضوعات الدقيقة الهامة (١) .

ومن العجيب أن ابن تيمية ذكر في ص١٩٨ (بترقيم المخطوط) في بداية سطر من سطور الصفحة : « الوجه الحادى عشر » ثم إستمر في كلامه مناقشاً الموضوع الذى كان يناقشه قبل عبارة « الوجه الحادى عشر » ويبدو أنه اعتبر هذا الوجه هو الوجه التالى للوجه العاشر الذى بدأ الكلام عليه فيما سبق (ص ٢٢٥) وبداية الكلام بين نهاية الوجه العاشر وبداية الوجه الحادى عشر ليس الا استطرادات مختلفة ، هذا مع اختلاف موضوع الوجه العاشر عن موضوع الوجه الحادى عشر .

تحقيق الكتاب

نسخة الكتاب :

كتاب « الصفدية » طبع عن نسخة وحيدة نادرة عليها تعليقات هامة بخط مؤلف الكتاب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .

في عام ١٩٥٦م كنت أراجع قوائم مكتبات استانبول أثناء وجودى بكمبردج بانجلترا ، فوجدت في فهرست مكتبة سليم

(١) السابق ، ظ ١٨٣ وما بعدها .

أغا(١) اشارة الى الكتاب هكذا : « قاعدة في الحقيقة والرسالة وابطال قول أهل الزندقة والدلالة » ورقم الـكتاب : سليم أغا ٣٥٨ .

ولم أكن أعلم أن هذا الـكتاب هو « الصفدية » ولـكنى أرسلت أطلب تصويره هو ومخطوطات أخرى لشيخ الاسلام رحمه الله ، وتـكفل الأخ حسان نجـــــار ، وكان يدرس في استانبول حينذاك بتصويرها وارسالها الىّ في انجلترا .

وبدأت أطالع في صورة المخطوط ، وفرحت عندما قرأت أول الـكتاب ورجحت أن يكون هو كتاب «الصفدية» ولكنى لم أتاكد من هذا الا بعد أيام عنـــــــدما دققت النظر في عنوان الكتاب فوجدته كالآتى : « قاعدة في تحقيق الرسالة وابطال قول أهل الزيغ والضلالة » ثم لاحظت أنه قد كتب تحت ذلك بخط لم ألاحظه في بادىء الأمـر ما يلي : « تسما الصفدية » وهنـــا تأكد لى بصفة قاطعــــة أنه هو كتاب «الصفدية» الذى بحثت عنه طويلا قبل ذلك .

وقد كتب الىّ الأخ حسان نجار ــ جزاه الله عنا خـــير الجزاء ــ فذكر لى ما يوجد في المكتبة من بيانات عن الـكتاب وقال انه قد كتبت الملاحظات التالية عنه :

"Kitap guzeldin, lazi sahifeler yanmaktadir icinde 3 adet itave sahife meucuttur "

وترجمة ذلك الى العربية هو كالآتى : « الكتاب جميل ،

---

(١) Hacci Selim Aga : Defteri Kitaphane'i — al — hac Selim Aga, 1310 h.

فيه بعض الصحائف متآكلة ، فيداخله ثلاثصحائف مضافة» .

ونقل لى الاستاذ حسان نجار بيانات المكتبة عن الكتاب وهى التى توجد بصورة غير واضحة في يسار الصفحة الأولى وهى كالآتى :

قسم : برتف باشا
رقم المخطوط : ٣٥٨
عدد الصفحات : ٢١٢
مقاس : ٢٦×٣٦
ووصف الصفحة الأولى من المخطوط هو كالآتى :

في أعلى الصفحـــــة الى اليمين كتبت عبارة « الله حى » (أو لعلها : حسبى الله) وكتب تحتها بخط غير واضح : «من كتب .. بن رستم .. الشروانى » .

والى اليسار في أعلىالصفحة وفي وسطها تقريبا يوجدتملك آخر كتب أعلاه عبارة « الله حى » وتحتها : « من كتب الفقير كاتب زاده محمد رفيع سراطباى خاصة » .

والى يسار ذلك يوجد رقم الصفحة بالأرقام الافرنجية (1) أى الصفحة الأولى ، ويوجدتحته توقيع (ولعله ختم) ثم يوجد رقم المخطوط بالأرقام العربية ٣٥٨ .

والى يسار ذلك في أعلىالصفحة وفي آخرها الى اليساريوجد تملك كتب في وسط خطوط مرسومة كالآتى : « عبد الباقى عارف عفى .. » وتحت ذلك الى اليمين قليلا تملك آخركتب فيه : « في نوبة محمد الدريدى عفى عنه » وتحت ذلك الى اليمين كتبت نفس عبارة التملك الموجودة في وسط الصفحة

من قبل وهي : « الله حى ، من كتب الفقير كاتب زاده محمد رفيع سراطباى خاصة » .

وفي وسط الصفحة تحت التملكات السابقة عنوان الكتاب كما سبق أن ذكرته وقد كتب في وسط رسوم زخرفية أرجح أن تكون ملونة كالآتى :

قاعدة في تحقيق الرسالة
وابطال قول أهل الزيغ والضلالة
تسما الصفدية

وكتبت تحت العنوان عدة سطور بخط نسخ واضح منقوط ، وتُرك هامش من الجانبين ، وجاء في تلك السطور ما يلى : « تصنيف شيخ الاسلام والمسلمين ، والقائم ببيان الحق ونصرة الدين ، الداعى الى كتاب الله وسنة رسوله ، الباذل نفسه في ابتغاء مرضاة الله والجهاد في سبيله ، الذاب عن حريم السنة ، الصابر على المحنة ، المؤيَّد بالحجة والبرهان ، القامع أهل الزيغ والطغيان ، والنورالذى أظهره الله عز وجل في ليل الشبهات والظنون ، فكشف به تمويه المموهين ، وزخرفة المبطلين ، وأبان به معالم دينه القديم ، وفتح به باب الصراط المستقيم ، فجعله مناراً لأهل العلم والايمان ، ومَعْلَماً لأولى الشهود والعرفان ، وأحيا به من التوحيد ماكان دارسا ، وأضحك به من الدين ماكان عابساً ، حتى انفتح من القلوب مُقفلها ، وزاحت عن النفوس عللها ، وظهرت به بشارة رسوله رب العالمين بقوله : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين :

امام العلماء وأحد ورثة الأنبياء ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحنبلى» .

والى يسار هذه الكتابة ، في الهامش يوجد ختم المكتبة وقد كتب بحروف لاتينية مطبوعة وسجلت فيه البيانات التىسبق أن ذكرتها فمثلا كتبت كلمـــــة KISIM بحروف لاتينية مطبوعة وأمامها بحروف مكتوبة بالقلم Petrev Ps.

على أنه توجد في أعلى هذا الختم كلمات عربية غير ظاهرة كأنها : فقير محمد عفت ، والظاهر أنها موجودة قبل وجود الختم المطبوع .

أما أسفل الختم الى اليسار أيضا فتوجد أثار كلمات غير واضحة ويبدو أن الرطوبة وقدم المخطوط قد أذهبا الكلمات وطمسا الحروف .

أما أسفل الصفحة من اليمين فيوجد تملك آخر كتب فيه ما يلى : « من كتب عمر بن محمد الماردينى عفا الله عنهما (١) والـكتابة المغلقة التى عـــــلى الهامش كتابة المؤلف رحمة الله عليه » .

وهذا نص له أهميته ، وهو يؤكد ما يبدو واضحا لـكل من يعرف خط شيخ الاسلام ابن تيمية . وقد ظهر خط ابن تيمية واضحا عـــلى هامش صفحات كثيرة منها : ص ١٨ ،

---

(١) عمر بن محمد الماردينى الملقب بشوقى فقيه عروضى شاعر ، من آثاره شرح الكافي في العروض والفتاوى وديوان شعر ٠ توفي سنة ١٢٦٨هـ ٠ المرجع هدية العارفين ، ص ٨٠٢ نقلا عن معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، جـ ٢٧ ، ص ٣١٧ ، ط ٠ دمشق ١٣٧٨/١٩٥٩ ٠

ص ١٩ ، ظ ٢٥ ، ص ٩٨ ، ظ ١٣٧ ، ظ ١٢٨ ، ظ ١٥٥ ، ص ١٨٨ . على أنه توجد صفحات أخرى كتب بهامشها كلام بخط آخر غير خط ابن تيمية ، وقد عرضت نماذج من خط ابن تيمية في اللوحات المطبوعة مع هذا الكتاب .

والى جانب التملك السابق وفي وسط الصفحة من أسفلها كتب ما يلى : « الشيخ تقى الدين أبو العباس ابن تيمية الحنبلى كان من أعلم المتأخرين بمذاهب الفرق وشطاح الصوفية ، وان كان قد شذ في مسائل معروفة ، فله في غيرها تحقيق مقبول ، ومحل في العلم غير مجهول ـ من كشف الغطاء في الباب الأول لابن الأهدل اليمنى الصوفي الشافعى (١) » .

والى يسار هذا الكلام كتبت كلمة هو أو حرف « و » وتحت ذلك هذه العبارات : « نظر فيه الفقير أبو الصدق الحنبلى . ابن الذباح الصالحى في يوم الأحد حادى عشر شهر ربيع الأول سنة ٩٣٩ بجامع السقيب (؟) خارج باب توما» .

أما ظهر الصفحة الأولى فيوجد في هامشها الأيمن ختم المكتبة السليمية وهو ختم على شكل دائرى كتب في أعلاه كلمة غير واضحة كأنها « شتف » وتحتها كتب ما يلى : « كتبخانة خانقاه سليمية » .

---

(١) في الأصل الاسم غير واضح ووجدت في كشف الظنون لحاجي خليفة ١٤٩٢/٢ ـ ١٤٩٣ (ط . استانبول ١٩٤٣/١٣٦٢) ما يلى : « كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين ، للشيخ الامام بدر الدين حسين بن (الصديق بن حسين بن عبد الرحمن بن) الأهدل الشريف اليمنى الصوفي توفي سنة ٠٠٠ » .

أما الصفحة الأخيرة من الـكتاب وهى صفحة 212 = ٢١٢ فتنتهى بالعبارة التالية : « ... وانما يتفاوت أهل العلم والايمان بحسب تفاوتهم في تحقيق هذا التوحيد ، كما قد بسط في موضعه والله أعلم » .

وكتب تحتها مايلى : «تمت القاعدة من كلام شيخ الاسلام، مفتى الأنام ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية الحنبلى ، مؤلف كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » . وكتب تحت ذلك كلمة كأنها « تم » . والى اليسار في مقابل هذه العبارات كتب «بلغ مقابلة بحسب الامكان والحمد لله» .

وفي أسفل الصفحة الى اليسار كتب ما يلى : « هذا الكتاب للرد على الفلاسفة وبعض المتصوفين الملحدين لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية الحنبلى » .

وهكذا نجد أن الـكتاب ليس فيـه تصريح باسم ناسخه ولعل الناسخ خشى أن يكتب اسمه أو محاه بعد أن كتبه ، كما محا اسم « تيمية » وكتب بدلا منه « صلاح » .

والنسخة رقم قدمها الظاهـــر واصابة صفحاتها الأولى بالرطوبة الا أنها نسخة جيدة وخطهـــا خط نسخ واضح ومنقوط ، وعدد سطور كل صفحة حوالى ٢٠ سطرا ، وعدد كلمات كل سطر حوالى ١٥ كلمة .

والكتاب مقسم الى كراسات ، كل كراسة مكونة من عشر ورقات ، وتوجد اشارة على رأس كل كراسة ففى أعلى صفحة ٢٠ الى اليسار كتب «ثالث» وفي أعلى صفحة ٣٠ كتب «رابع»

وهكذا ، على أن الناسخ لم يتبع هذا الترتيب الى النهاية اذ نجد في ص ١٧٩ اشارة «التاسع عشر » وفي ص ١٨٧ اشارة « عشرون » .

وقد تمت مقابلة النسخة بعناية وتوجـــد مواضع كثيرة فيها كلمة «بلغ» أو عبارة « بلغ مقابلة » ـ كما أشرت الى ذلك أحيانا ـ ومنها مثلا صفحات : ص ١٩ ، ظ ١٩ ، ص ٢٢ ، ظ ٣٧ ... الخ .

ويوجد اضطراب في ترتيب الصفحات في بعض المواضع كما حدث في ص ٣ (بأرقام المخطوط) حيث يحيل الناسخ الى بقية الـكلام في الكراس الخامس عشر ويذكر أن أوله هو عبارة « الممتنع باتفاق العقلاء » وقد وجدت هذا الجزء من الكلام في ورقة ملصقة تحمل رقم 145 ويستغرق الكلام الصفحة وظهرها (انظر ص ١٠ ـ ١٧ بأرقام هذه الطبعة) وقد أشرت الى مثل هذه الاحالات في مواضعها .

منهج التحقيق :

لايوجد من كتاب « الصفدية » غير هذه النسخة الوحيدة النادرة التى بين أيدينا ، ولذلك لم أحتج الى مقابلة هـذه النسخة على نسخ أخرى كما فعلت فيما سـبق أن نشرته من كتب شيخ الاسلام .

الا أننى كعادتى فيما سبق لى تحقيقه قابلت هذه النسخة على كل ما أمكننى مقابلته من كتب أشار اليها شيخ الاسلام مثل كتاب « الأربعين في أصول الدين » للرازى (انظر ص

٢٩ ـ ٣٢ ، ص ٦٠ ـ ٦٢) وكتاب «الاشارات والتنبيهات» لابن سينا (انظر ص ١٦٥ ـ ١٦٧ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٩) .

ومنهجي في تحقيق الكتاب لايختلف عن منهجي في تحقيق ماسبق لى تحقيقه من كتب شيخ الاســـلام رحمه الله ، فقد حرصت هنا على ألا أدخل في نص الكتاب ماليس منه ، ولذلك جعلت كل العناوين على هامش الكتاب ، واستعملت الوسائل المطبعية لايضاح تسلسل أفكار ابن تيمية في بعض المواضع بأن وضعت خطا رفيعا تحت الوجوه التى رد بها ابن تيمية على الفلاسفة ، كما أضع أحيانا مثل هذا الخط تحت بعض الـكلمات التى توضح تسلسل الـكلام مثل قال أو قلت ، وهلم جرًا .

وقد كتبت أسماء السور وأرقام الآيات في صلب الكتاب بعد كل آية وجعلت ذلك بين معقوفتين [ ] ، كما جعلت أى زيادة أضفتها لم تكن موجودة في النص بين معقوفتين .

وقد أشرت الى بداية صفحات المخطوطة بأن وضعت خطا مائلا / عند أول كل صفحـــة ، وسميت وجه كل ورقة من ورقات المخطوطة صفحة ورمزت لها بحرف (ص) ، ورمزت لظهر الورقة بحرف (ظ) ، وجعلت أرقام الصفحات في الهامش أمام الخط المائل .

وقد حرصت كعادتى على الترجمة لـكل الأعلام والفرق والطوائف في تعليقاتى ، ولـكننى اكتفيت هنا بالاشارة الى ما سبق أن ترجمت لهم في الكتب التى حققتها من قبل بعد أن أذكر ملخصا مختصرا عن العلم ثم أحيل الى التفصيل في المرجع

السابق فأقول انظر (س) = منهاج السنة ، أو (ج) = جامع الرسائل ، أو (د) = درء تعارض العقل والنقل .

كما حرصت على تخريج أكثر الأحاديث الواردة والاشارة إلى مواضع ورودها في كتب السنة ما أمكن ذلك .

واعتذر مقدما لوقوع بعض الاخطاء في هذه الطبعة ، اذ أن الكتاب طبع بطريقة اللينوتيب ، ولم يطبع بطريقة الجمع اليدوى ـ كما حدث من قبل ـ وطريقة اللينوتيب تؤدى الى وقوع أخطاء يصعب تفاديها أحيانا .

ولا يفوتنى في خاتمة هذه المقدمة أن أشكر أخى في الله الاستاذ عبد الرحمن البانى الذى أمدنى ببعض المراجع ، وأفادنى ببعض ملاحظاته القيمة .

وبعد ، فاننى أسأل الله تعالى أن يعيننى على اصدار الجزء الثانيمن هذا الكتاب ، وأن ينفع به الناس ، وأن يرحم به الملك فيصل بن عبد العزيز رحمة واسعة ، فقد كان له الفضل ـ رحمه الله ـ في إصداره إذ طبعه على نفقته في طبعته الأولى . والله أسأل أن يتقبل منا أعمالنا ، ويتجاوز عن سيئاتنا ، انه سميع مجيب ؟

الرياض في الأحد

الثامن من ذى القعدة سنة ١٣٦٩هـ

الموافق ٣١ من اكتوبر سنة ١٩٧٦م

محمد رشاد سالم